من
قصص الشهداء

فاروس الجندي وسبعة نُسَّاك آخرون[1] (٣٠٧م)

❖✝❖

كان الاضطهاد يتصاعد يومًا بعد يوم، لأن الوالي كولشيان لم يكن ليرضى أن تظلَّ قاعة المُحاكمة خاويةً، وكان يهدف بالحري إلى التغلُّب على ثبات المسيحيين واستدراجهم إلى الجحود بدلًا من إعطائهم فرصة التهليل بالاستشهاد.

ولهذا الهدف كان يعرض عليهم كلَّ ما يمكنه من الإغراءات الجذَّابة، ومتى فشلت لجأ إلى التهديدات الفتَّاكة. وكان ينذهل من اندفاع المسيحيين إلى الاستشهاد كأنهم ذاهبون إلى عُرسٍ، وأنهم لكذلك لو تفطَّن كولشيان!

ولقد تبارت كلُّ الطبقات الاجتماعية المصرية في إرسال النُّخبة من أولادها وبناتها نوَّابًا عنها إلى الفردوس!

مكانة الضابط فاروس:

وكان الضابط فاروس Varus ذا مكانةٍ عالية وسط الجنود لِمَا كان يمتاز به من بسالة نادرة بغير زهوٍ ولا غرور، وزادت بسالته رونقًا ما تحلَّى به من تقوى ومحبة. فكان يقضي ساعات فراغه في زيارة المسجونين والمُقيَّدين، فيُمرر أصابعه في رقَّةٍ وحنان على جراحهم الدامية ليُضمِّدها، ثم يدهن عينيه وصدره بما لصق بها من الدماء.

وبهذا العمل كان يُعرِّض نفسه لخطرٍ داهم، إذ إنَّ الموت كان مُتربِّصًا بكلِّ مَنْ يجرؤ على مجرَّد الاعتراف بالربِّ يسوع.

---

(١) - المطران ميشيل عسَّاف: سنكسار الروم الكاثوليك، (١٩ تشرين الأول)،
- إيريس حبيب المصري: السنكسار الجديد، جزء ١، ص ٢٠٧ – ٢١١، (١٤ هاتور)،
- القمص تادرس يعقوب ملطي: آباء الكنيسة وقدِّيسوها.
- Buttler's, Lives of the Saints, Oct. 19. 4/49.
- Cheneau: op. cit., tome 2, pp. 426-437, Oct. 19.

النُّسَّاك المتوحِّدون:

وعادت حاشية الوالي، التي كان قد أرسلها إلى طيبة ذات يوم، تسوق أمامها عددًا من النُّسَّاك المتوحِّدين، وفرح كولشيان للغاية، وأَمَر بإلقاء هؤلاء الرجال الوقورين في السجن، وتعذيبهم تمهيدًا لمُحاكمتهم. ولمَّا سمع فاروس بهذا الخبر، ذهب تحت ستار الظلام وقدَّم مبلغًا من المال للحُرَّاس ودخل لزيارة القدِّيسين، فقبلوا منه ما دفعه لأنه كان مرتديًا الزِّي العسكري. وما إن دخل عند النُّسَّاك حتى فكَّ قيودهم وقدَّم لهم الطعام والماء. وكان الجُند قد تركوهم بغير أَكْلٍ ولا شُربٍ مدَّة ثمانية أيام.

وحالما انتهوا من الأَكل والشُّرب، خرَّ فاروس على ركبتيه وقال: "أيها الخُدَّام المُكرَّمون للملك المسيح، سيسوقكم غدًا رجالٌ بلا رحمة إلى الاستشهاد، فاطلبوا إلى الربِّ أن يجعلني شريكًا في بسالتكم. إنني ضابطٌ، وقد بلغتُ رُتبة تضعني أمام الأضواء، وأنا مسيحي، ولكني ما زلتُ أرتعدُ من الاعتراف بمُخلِّصي جهارًا خشية التعذيب الذي شاهدتُ وحشيته مرارًا. صلُّوا لكي ينتهي الاضطهاد، فنستطيع أن نعترف بإيماننا بلا خوف، ونُعلِن ولاءنا للملك المسيح في رائعة النهار". أجابه القدِّيسون: "إنَّ مَنْ أراد أن يحصد في الموسم الحلو، عليه أن يكون قد بَذَر البذار وقت الشتاء وأثناء العواصف، وإكليل الشهادة لا يمكن أن يكون وشاح الجبان. ألم يُعلِن لنا المسيح بأنَّ مَنْ لا يعترف به قدَّام الناس لا يعترف هو – له المجد – به في السموات؟ فتشجَّع، إذن، وكُن رفيقنا في الرحلة إلى الأبديَّة".

اكتشاف الضابط فاروس مع النُّسَّاك:

وبينما هم لا يزالون يتحدَّثون، اقتحم الجُند الحبسَ الداخلي ليسوقوا المُصارعين مع الله أمام القاضي، ولاحظ جنديٌّ منهم أنَّ فاروس يُقبِّل أقدامهم. فسأله: "أيها الضابط الكبير، أَلَا تخشى أن يُبلِّغ أحدٌ أمرَكَ إلى الوالي؟ فإن عرفوا أنك مسيحيٌّ ستفقد مكانتك، بل وستفقد حياتك أيضًا". أجابه: "فليسمح الله ويشاء أن يعتبرني مسيحيًّا ولا يفصلوني عن هؤلاء الأبطال. ولكن مَنْ سيُبلِّغ عني وأنتم جميعًا أصدقائي؟".

وقيَّد الجنود النُّسَّاك بسلاسل ثقيلة، وكان عددهم ستة، وساقوهم إلى القضاء. وكانوا في حياتهم الصحراوية سبعةً عاشوا معًا ثلاثين سنة في عِشرة حلوة مع الله، ولكن واحدًا منهم كان قد انتقل إلى الفردوس قبل القبض عليهم بأسبوعٍ واحد.

محاكمة النُّسَّاك:

وسار فاروس خلفهم، وكان كولشيان قد اتَّخذ من الميدان العام ساحة لقضائه. وكان كُرسي ولايته مُحاطًا بالجنود وبجموعٍ كثيرة من الشعب. فأخذ يُلقي أسئلته على رجال الله لعلَّه يوقِع بواحدٍ منهم. ولكنهم أكَّدوا له أنَّ الوطن الحقيقي للمسيحي هو السماء. فهم لا يخشون تهديده، ولا يخدعهم وعيده. فبعد أن أَمَر الجُند بضربهم بالعِصِي، سألهم: "على فكرة أين سابعكم؟ فقد بحثتُ عنه طويلًا دون أن أتمكَّن من العثور عليه". وما إن انتهى من كلماته، وقبل أن يُجيب أحدهم، اندفع فاروس إلى الأمام وهو يشقُّ طريقه بين المُتجمهرين. ووقف أمام كولشيان مباشرةً، وقال: "إنَّ مَنْ تطلبهُ قد مات. وقد أقمتُ نفسي وريثًا لأتعابه. فإن كان عليه دينٌ لك أدفعه أنا عِوَضًا عنه، لأن الوارث عليه أن يدفع ديون أبيه".

الوالي يكتشف أنَّ فاروس مسيحيٌّ:

وتفرَّسَ فيه الوالي مذهولًا وسأل: "مَنْ أنتَ"؟ أجابه سكرتيره: "إنه ضابطٌ من المرموقين في الجيش". فالتفت كولشيان إليه بأكثر دقة ولاحظ من زِيِّهِ أنه فعلًا من المُتقدِّمين في القيادة العسكرية، فازداد ذهولًا وسأل: "كيف تركتَ نفسك لتأثير هؤلاء الدَّجَّالين إلى حدِّ تعريض مكانتك العليا للخطر؟ إنك لا تتعرَّض لضياع مركزك فقط، بل لقطع رأسك أيضًا؟!". أجابه: "لا تُحدِّثني عن مركزي. فلقد وجدتُ ما هو أسمى وأعلى ...".

ولم يَدَعهُ الوالي أن يُكمِّل، بل وجَّه حديثه إلى النُّسَّاك قائلًا: "ليس من شكٍّ في أنكم أنتم الذين أوصلتم هذا الضابط الكبير إلى هذه الهلوسة، وبذلك أضعتم على الإمبراطورية شخصية كبرى". وأصغى فاروس إلى الحديث الذي تبادله الوالي مع النُّسَّاك فرأى أن يتدخَّل، وقال: "لماذا الاستطالة في الكلام؟ إنهم واقفون عند قدميك، فافعل بهم ما تشاء". أجابه الوالي: "إنَّ واجبي هو القضاء على كلِّ مَنْ لا يُبخِّر لآلهة الإمبراطورية بالتعذيب أولًا، ففكِّر فيما تنتويه". قال فاروس في تأكيدٍ: "لقد فكَّرتُ وانتهيتُ، وأنا خادمٌ للرب يسوع". حينئذ أَمَر الوالي بتعذيبه، فمزَّق جسده بالمجالد، وقَطَعَ لحمه بأمشاطٍ حديدية.

أمَّا هو فكان صابرًا، يُصلِّي ويتضرَّع إلى الله لكي يُثبِّته في عزمه، وتضرَّع إلى رفاقه الشهداء الستة الواقفين أن يطلبوا له العون الإلهي. فسمعه الحاكم واستهزأ به، وقال: "أين قدرة مسيحك يا فاروس؟ أَلَا يأتي لنجدتك حتى تستنجد بهؤلاء التُّعساء؟". فقال الشهيد: "إنني لا

أطلب المعونة من الله ليُنقذني من هذا العذاب، بل أبتهل إلى الربِّ لكي يُنجِّيني من نار جهنم".

تعذيب واستشهاد الضابط فاروس:

فغضب الوالي وأَمَر الجلَّادين بأن يُشدِّدوا في تعذيبه. فعذَّبه الجلَّادون وتركوه مطروحًا على الأرض يتألَّم ساعاتٍ طوالًا حتى أسلم الروح، فطارت نفسه الطاهرة إلى المملكة العلوية، حيث رب الجنود جالسٌ يُكافئ مُختاريه بالنَّعيم الذي لا يزول ولا يَفْنَى أبدًا.

استشهاد النُّسَّاك:

وفي اليوم التالي، استحضر كولشيان النُّسَّاك الستة وأَخَذ يتهدَّدهم ويتوعَّدهم، إلَّا أنهم ظلُّوا راسخين على إيمانهم القويم. فجازوا في سلسلةٍ من العذابات. وأخيرًا، قُطِعَت رؤوسهم ونالوا أكاليل المجد غير المُضمحل.

وبعد أن أكمل القدِّيس فاروس جهاده، أخذت جسده امرأة مسيحية تُدعى كليوباترا. وذهبت بجسده إلى فلسطين إلى قرية بجوار بحيرة طبرية، وكان المؤمنون يأتون ويتباركون من جسده. ولمَّا كبر ابنها يوحنا وأصبح متأهِّلًا للجُندية، قررت أن تبني كنيسة للقدِّيس. فلمَّا أكملتها، وضعت رفات القدِّيس تحت المذبح. وحدث بعد ذلك أن مات ابنها، فوضعت المرأة ابنها أمام الهيكل مُتضرِّعة إلى الله من أجل ابنها.

فنامت من كثرة الحزن، وظهر لها الشهيد في رؤيا، وخاطبها قائلًا: "هل نسيتُ محبتكِ التي أظهرتيها من نحوي؟ هل لم أُصلِّ إلى الله ليُعطي الصحة والعافية لابنكِ؟! أمَّا الآن فإنَّ الصلاة قد استُجيبت، فلقد أعطاه الله الصحة إلى الأبد، وهو الآن يتبع الحَمَل الإلهي إلى الأبد". فقالت له: "إنني أريد أن أكون معكما". فقال لها: "اتركيني أنا وابنكِ وانتظري حتى يأتي الوقت الذي فيه تكونين معنا".

فلمَّا استيقظت، عَلِمَت أنها إرادة الله، فدفنت ابنها بجوار الشهيد. وقضت باقي حياتها في توبةٍ دائمة وصومٍ وصلاةٍ مُستمرَّيْن. وبعد سبع سنوات، أتمَّت جهادها ولحقت بابنها في السماء.

ولربنا المجد دائمًا أبديًّا، آمين.